الفصل الثاني عشر

تعميـــد ثلاثي

انقضت نهاية عام ١٥٥٢ وسط مجموعة من الأعياد . فبعـد تلك الحملة المتعبة أخلد القيصر للراحة هو وبلاطه وحاشيته . ففي الثامن من تشرين الثاني نوفمبر أقيم في القصر الرحب عشاء ساهر دعي اليه كل كبار الوجهاء ومن يتمتعون بنفوذ كبير كالمتروبوليت والأمير يوري وأناستاسيا التي استعادت عافيتها والأساقفة والأمراء والڤويفود (كبار الموظفين) وعدد من رجال الطبقة الراقية . وفي هذه المناسبة تم توزيع العطاءات والهبات مقابل الخدمات التي قدمت في الحرب . وكان بين العطاءات فراء السمور وانسجة من البروكار واكواب من الذهب والبسة وخيول وأكياس مليئة بالقطع الذهبية وسجاجيد وأسلحة ، وكانت هذه الهدايا تمثل مبالغ هائلة من النقود . وقد وجد من نال الى جانب هذه العطاءات اراضيَ وهم كثيرون . فالقيصر كان يبذخ عن سخاء ، والقيصرة كانت تصب الخمر لكبار النبلاء الذين كان لهم الامتياز في ان يقبلوهـا قبلة احتفالية .

ودامت الولائم والأفـراح ثلاثة ايـام وأصبحت بدون شك أكثر صخباً ومرحـاً بعد رحيل رجـال الدين . وإذا لم نتكلم عن الطعـام والشراب اللذين تم ابتلاعهما بكل نهم وشراهة فإن هـذه المآدب قلما ارتفعت الى مستوى التسليات الراقية المهذبة . فهم لم يكونوا يرقصون ولم يكن ثمة مهرجون ولا أقنعة ولا من يطلقون النكات الذكية ، فروسيا لم تكن تمتلك شيئاً من المسارح ولم يكونوا يقدمون حتى ولا المسرحيات